

مراجعات في التربية الجهادية

أ.د. لطيفة حسين الكندري

النقد الذاتي لسياسات الدول والجماعات والمناهج التعليمية - الرسمية والخفية - أداة لتربية أفضل في ظل ظروف عالمية طاحنة تحركها الأطماع الدولية التي لا تقيم للعدل وزنا. المراجعات الفكرية التي تتميز بقدر من الاستنارة والجسارة تُعد خطوة جريئة لتلافي المزيد من الأخطاء الفادحة التي تستنزف طاقاتنا. إن المراجعات في حد ذاتها علامة على التجرد والشجاعة، والحاجة إليها من متطلبات بناء رؤية متفتحة ناضجة للتعامل مع الآخرين، واعمال العقل، ودعم العمران الإنساني، واحكام الأمور وابرامها على أكمل وجه.

وفي سياق المراجعات الاجتهادية الجهادية كتب أحد العلماء "لقد عشنا زمانًا طويلًا ونحن نعتقد ما يعتقدُه بعض العلماء وأكثر العوام من أن قتال الكفار سببه الكفر، وأن الكفار يقاتلون حتى يسلموا... ثم تبدل رأينا وتحققنا بأن القتال في الإسلام إنما شرع دفاعًا عن الدين، ودفع أذى المعتدين".

ومن جهة أخرى لا يماري منصف في أن الشباب المتطرف يتلقف الأفكار الهجومية دون نقد أو فهم صحيح وأن ما يتعلمه في الجماعات صورة من صور المنهج الخفي. وبما أن مناهج الحركات المتطرفة متأثرة بفكرة الصراع الأزلي مع الآخر، وتعمل جاهدة على تقليص فرص التعايش السلمي كان حريا بالمربين معالجة المناهج الخفية لإيجاد فهم أعمق وأدق لمواجهة تمدد هذه الظاهرة. تعتبر الحركات المتطرفة جميع اجتهاداتها حقائق مطلقة يجب أن يخضع لها العالم بأسره واتخذوها من أساسيات تثقيف الأتباع. تقود كتاباتهم إلى إذكاء مشاعر الكراهية، وتطالب بقتال العالم، وهذا بدوره يغذي التمزق المجتمعي، ويزيد من درجة الاحتقان السياسي عالميا، ويوقد نيران الأحقاد.

في كتابه فقه الجهاد انتقد القرضاوي جوانب جوهرية في فكر سيد قطب واتهمه بأنه "يعادي العالم كله، مَن سالمه ومَن حاربه على حدِّ سواء، مَن عاهده ومَن لم يعاهده، ويتحدَّى العالم كله". ولخص طارق البشري فكر سيد بأنه يقود نحو الحرب لأنه "يحفر خندقا". وتعليقا على ما سبق فإن المرء يتساءل: هل جاء ذلك النقد متأخرا؟ لقد كانت هناك تحذيرات مبكرة - داخل وخارج التيارات الدينية - تشير إلى وجود خلل في بعض الموروثات المشددة لكن لم يتم أخذها بعين الاعتبار أثناء بناء مناهج

التربية والتثقيف. إلى أي مدى تمت الاستفادة من المرئيات السابقة في
تصحيح المناهج الدعوية اليوم؟

إن التأخر الإدراكي داء فتاك يدمر ويشوه حياة الأفراد والجماعات
والشعوب ويصيب جهاز المناعة بإصابات خطيرة. من الواضح أن بعض
الحركات الدينية وغيرها أصبحت تُغير تكتيكاتها خوفاً من الملاحقة، أو حبا
في المصلحة والمصالحة أو لممالة الحكومات، ومسايرة الشعوب ولكن
يتوجب عليها أحداث تغييرات جذرية ووجيهة في كثير من معتقداتها
ومناهجها التعليمية لتصبح أكثر انفتاحاً على العالم وتطوراته، وهذا يتطلب
شجاعة فائقة في مراجعة مرتكزاتها تمهيدا للتراجع عن الأخطاء، وتصحيحا
للمسار، وتماشيا مع منطق احترام خيارات الإنسان.